

نحو إنجاز الأطلس الأثري لمنطقة تازة بولاية تيسمسيلت

Towards the completion of the archaeological atlas of Taza region in the state of Tissemsilt

بكاي لخضر

جامعة عبد الحميد بن باديس بمستغانم (الجزائر)، blakhdar328@gmail.com

تاريخ النشر: 2024-05-05

تاريخ القبول: 2024-01-07

تاريخ الاستلام: 2023-07-30

ملخص:

تهدف هذه الدراسة المتواضعة إلى التعرف والتعريف بالمنطقة الأثرية تازة برج الأمير عبد القادر بولاية تيسمسيلت، وإبراز تسلسلها الحضاري من خلال محاولة جرد مواقعها الأثرية وإحصاء شواهدها المادية الثابتة والمنقولة كعمل يظهر لأول مرة في الحقل الأثري للمنطقة، إذ يكفي أنها لم ترد في الأطلس الأثري لستيفان غزال Stéphane Gsell من جهة، ومعرضة للنهب ومهددة بالزوال من جهة ثانية. ومن هذا المنطلق أردنا تقديم مشروع للخريطة الأثرية لتازة لإثراء الرصيد المعرفي في هذا المجال، وإبراز خصائص المنطقة في مجال تخصصنا وسعينا منا لربط المعلومات التاريخية بالمعطيات الأثرية في جوانبها المختلفة لتأكيد الدور الحضاري للمنطقة.

كلمات مفتاحية: الأطلس الأثري، مدينة تازة، جبال الونشريس، الإستكشافات الأثرية، الجرد.

Abstract :

This modest study aims to identify and define the archaeological area of Taza Bordj Emir Abd al-Qadir in the state of Tissemsilt and to highlight its civilizational sequence by attempting to inventory its archaeological sites and count its immovable and movable physical evidence as a work that appears for the first time in the archaeological field of the region, as it is sufficient that it was not mentioned in the archaeological atlas of Stephan Gsell on the one hand, and exposed to looting and threatened with extinction on the other hand. From this point of view, we wanted to present a project for the archaeological map of Taza to enrich the knowledge balance in this field, and to highlight the characteristics of the area we specialize in, and in our endeavor to link historical information with archaeological data in its various aspects, to confirm the civilizational role in this field. for the region.

Keywords: archaeological atlas, city of taza ,mountains ouarsenis, archaeological explorations, inventory.

مقدمة:

يندرج موضوع دراستنا ضمن أطروحة شاملة تهدف إلى الجرد الكلي للمواقع الأثرية بمنطقة تازة برج الأمير عبد القادر وتعداد كل أنواع الشواهد المادية المرتبطة بها كونها غنية بالمعطيات الأثرية لما احتوته من تسلسل حضاري متنوع تظهر أهميته مستقبلا في معرفة طبيعة كل الآثار التي تحتويها وذلك للاعتبارات التالية:

أولا: بالنظر إلى معيار التوزيع الجغرافي للمواقع الأثرية بمنطقة تازة فهي تقع بين قرية "عين الخربة بأولاد هلال" Heberna Ala szbastina (المدية) وثنية الحد وموقع عين تكريا Praepositus Limitanis Collumnatensis غربا (تيسمسيلت) وضمن شبكة طرق موريطانيا القيصرية الممتدة من بوغار (ولاية المدية) إلى بني ورثان (ثنية الحد) إلى عين تكريا (خميسيتي) بولاية تيسمسيلت، وامتداد للمراكز الحضارية الإسلامية "تاقدمت، أشير، مليانة" ومع ذلك فإن الستة عشر موقعا بتازة التي سنقدمها على عكس غيرها المذكورة سابقا، فهي لم ترد في الأطلس الأثري لغزال. فبالرغم من أنه قد ذكر إسم تازة في وصفه لموقع عين الخربة Ain Kherba بقوله: "كتابة لاتينية بخربة السيوف نقلت إلى تازة". (G. sell, 1997, F 23, n30) فهذا يعني أنه على أقل تقدير يعرف اسم المنطقة. ورغم ذلك فقد قام بعملية جرد لمواقع بثنية الحد وقرية أولاد هلال متجاوزا تازة التي تربط بينهما، ومحاولة منا البحث عن مواقع أثرية بتازة في الورقة 13 مليانة 14- المدية- 23 ثنية الحد- 24 بوغار بحكم تداخل حدودهما معها فإننا لم نعثر على أي موقع ضمن فضاء تازة، ومن هنا تظهر أهمية عملنا كإضافة جديدة في حقل الأطلس الأثري الجزائري.

ثانيا: إننا موجودون أمام حقائق ميدانية مبنية على أساس أن مشروع الخريطة الأثرية الورقية لتازة كمجال بحث جديد قائمة جرده النهائية لم تضبط بعد بسبب أن التحري الميداني لعدد من المواقع قد تعرفنا عليها من خلال النصوص ويتعذر استكشافها حاليا لظروف أمنية تعيشها البلاد كونها تقع في مساحات غابية جبلية صعبة المسالك، ومواقع متباينة تزامنيا ضمن حيز أثري واحد، يضاف إلى هذا وذلك نقص المسح. لأجل ذلك لم نحدد إحداثيات أغلبها بدقة على الخريطة الطبوغرافية مما جعلنا نختار إحداثيات عامة دون تحديد النقطة الأثرية. ونفس المعطى بالنسبة للشواهد المادية فقد اعترضتنا مسألة ضبط الإشكالية التاريخية التي بقيت غامضة، ذلك لأن اللقى الأثرية التي عثر عليها في أغلبها لم تقدم أشياء كرونولوجية دقيقة تجعل الباحث يركز عليها لإعطاء تواريخ محددة ما يعني أن مشروعنا هذا يهدف إلى معرفة الإحصاء الفعلي للمواقع ومنه الجرد

التعدادي للشواهد المادية للوصول إلى الرصيد المعرفي له وإبراز خصوصيته حتى يتم إنشاء بنك معلومات يتم من خلاله تحقيق أول مصنف للمواقع الأثرية.

ثالثا: بغض النظر عن صعوبة وصولنا إلى نتائج علمية متقدمة وحقائق ميدانية دقيقة في هذه الدراسة فإننا نؤكد من خلال ذلك أن عملنا هذا تعريفي أكثر منه تحليلي، ويعود سبب ذلك إلى طبيعة المادة العلمية التي من خلالها تم التعرف على المواقع الأثرية بتازة، إذ تبين أن بعض المواقع ذكرت فقط من خلال النصوص على ندرتها، والبعض الآخر تشهد عليها مادتها الأثرية على قلتها وتفتقد لنصوصها، وباقي المواقع منها تجمع بين الإثنين بوصف عام ويتداخل فيها بين ما هو ثابت ومنقول. وعليه فإن هذه المعطيات المكونة للإشكالية العامة تجعلنا نتطرق إلى الموضوع لمعرفة عدد وتمركز المواقع والمعالم التي شملها الجرد قبل وبعد فترة إنجاز أطلس غزال ومنها ما سيعرض لأول مرة، وهذا ما يؤكد للطلاب والقارئ معا أن دراستنا هذه هي استمرار لما أسس له غزال.

مع هذه الاعتبارات الثلاثة أعلاه والتي تجعل لهذا الحقل الأركيولوجي أهمية خاصة، فقد جاءت هذه الدراسة المتواضعة لتكمل أيضا أبحاثا قام بها كل من بربروجر berbrugger، فايست vayssettes وخلاصي... إلخ. وعلى هذا الأساس يكون عملنا هذا وصفي يركز على الجانب الإستكشافي ومن جهة ثانية استقرائي اعتمدنا فيه أيضا على أدبيات الموضوع وعلى بعض الدراسات المختصة أدرجناها هاهنا للاستدلال. ومن هذا المنطلق فسوف نتناول تعريف المنطقة ثم إبراز أهميتها من خلال الأبحاث باعتماد المعيار الكرونولوجي، يأتي بعد ذلك جرد ووصف المواقع باعتماد معيار التوزيع الجغرافي والتأكيد على معالمها الدالة حسب ما تم العثور عليه من شواهد بارزة أو من النصوص، مع تقديم مواقع وشواهد مادية لم يتم نشرها من قبل ومن ثم خاتمة كحصول تقييمية.

1. الوضعية الطبيعية للمنطقة:

تقع منطقة تازة على الخريطة الطبوغرافية: ni-31-XXI-1ouest/theniet el had سلم 1/50.000 داخل إحداثيات: 424.08° إلى 439.08° و 2.15° إلى 2.20°. وبهذا التحديد تقع شرق ولايتها وتبعد عن العاصمة بحوالي 200 كلم. وهي من المناطق الداخلية التي تربط بين ثلاثة ولايات "عين الدفلى-تيسمسيلت-المدية". ترتفع عن مستوى سطح البحر ب 1102 م يحدها شمالا طارق بن زياد- عين الدفلة-وغربا ثنية الأحد-تيسمسيلت-وجنوبا البواغيش وشرقا دراج-المدية-ويقطعها الطريق الوطني رقم 60 الرابط بين قصر البخاري وثنية الحد. الناحية الجنوبية من المنطقة سهلية في مجملها. من الناحيتين الشمالية الشرقية والشمالية الغربية فهي جبلية تمثلها سلسلة جبال مطماطة التي

تربط بوغار بثنية الحد وتعد الحصانة الطبيعية للمدينة في شكل حلقات متفاوتة الارتفاع تبدأ شرقا بجبال ايشاون "ech-chaoun" بـ 1804م كأعلى قمة بالمنطقة point culminant وتنتهي حلقاته عند ثنية الحد "قمة الحجر لحمر 1622م". أهم مصدر مائي بالمنطقة هو منبع تازة الموجود أسفل جبل ايشاون الذي كان ولا يزال عاملا مباشرا في استمرار التواجد البشري بتازة. وفيما يخص الغطاء النباتي فيغلب عليها أشجار الصنوبر والبلوط بين سلسلة جبال تازة إلى غاية جبال بومجبر. وتعتبر مرتفعات تازة أعلاه امتدادا لجبال الونشريس المنتمية إلى سلسلة الأطلس التلي ضمن سهول السرسو الشرقي جنوبا الذي يمتد بين قصر البخاري والشلالة مروراً بتازة في الحوض السفلي لنهر واسل وهي بذلك مركز عبور بين التل والصحراء. (Conty, 1901, p.99) بهذا التحديد الطبيعي فهي خاضعة لمناخ المناطق الداخلية البارد القار شتاء والحر الجاف صيفا. وتتلقى كمية أمطار تتراوح بين 500 إلى 850 مم (Ficheur, 1900, p. 560)

في هذا الإطار تتوفر لدينا مصادر تاريخية تؤكد الأهمية الطبيعية للمنطقة والتي يمكن تقسيمها إلى نوعين، أما الأول فقد خص الوضعية الجغرافية لها، حيث اورد دوماس (daumas) في رسالة موجهة إلى رابتيل (rapatel) بتاريخ 14 ماي 1838 ما يلي: " تقع تازة على سفح جبل حصين منحدر جنوب شرقي معسكر وعلى بعد يومين منها يجري في سفحه نهر". (Yever, 1912, p.192) وفي نفس السياق يورد فايسست الاتي: "على بعد 08 كلم في الاتجاه الشمالي الشرقي من بوغار يوجد حصن تازة الذي تحيط به منحدرات صعبة ووعرة المسالك من الجهة الشمالية الشرقية والغربية أما الناحية المقابلة فهي هضاب. وبين هذا وذاك يوجد سهل واسع بنى فيه الأمير عبد القادر قلعته. وهذه الأخيرة تقترب إلى الجهة الشمالية أكثر من الجنوبية منها، أي في أسفل جبل ايشاون الذي يرتفع عن مستوى سطح البحر بـ 1804م. وهذا الموقع الذي اختاره الأمير مسيطر تماما على المنطقة ولا يوجد اختيار أفضل منه، ويتوفر على منبع مائي يقع عند نهاية الجبل المذكور آنفا". (Vayessettes, 1882, p.p. 22-24) ويؤكد ذلك ايميريت (Emerit): "إن المساحة السهلية التي يشغلها الفضاء الجغرافي لمنطقة تازة، وتوفرها على منابع مائية خاصة تلك القريبة من الموقع قد كانت إحدى الدوافع الرئيسية في اختيار الأمير عبد القادر لهذه المنطقة، فعمل على استغلالها بغرض توظيفها لإنشاء مطحنة للحبوب بعدما أدرك أن إنتاج مادة القمح كثير بأراضيها فجعل بها مستودعا للقمح". (Emerit, 1951, p.291) والنوع الثاني من تلك النصوص تطرقت إلى توفر المنطقة على بعض المواد الأولية والتي تعد من أهم شروط تأسيس المدن، نذكر من بينها ما أورده إيميريت: "إن تازة تكثر فيها الغابات وفيها منبع مائي غزير

في الجهة الشمالية من الموقع الذي اختاره الأمير عبد القادر لبناء الحصن" (Emerit, 1951, p.291). وفي رسالة من دوماس إلى الجنرال غيهنيك (ghehneuc) بتاريخ 06. 05. 1839: "إن الأمير عبد القادر أنشأ مصنعا للكبريت بتازة وتم ذلك بعد اكتشاف منجمه على مقربة من القلعة، وإن هذا المنجم المكتشف بتازة في تمام نشاطه وأنه قد أرسلت عينات رائعة منه إلى معسكر" من ناحية أخرى يشير الكاتب ايضاً في المذكرات التي رافقت الرسالة أن منجم الكبريت الذي تحدث عنه دوماس يقصد به منجمي الكبريتة والمقام الواقعين على بعد خمسة عشر كلم تقريبا جنوب شرقي تازة وعلى نحو أربعين كيلومتر من بوغار ويشار إليه في خريطة المعادن باسم سيدي بوزيد". (Yever, 1912, p 192) يذكر اسكوت (scott): "إن هاربا فرنسيا يعمل مع المهندس ألكايي دو كاس كان يحمل رسالة تفيد بأن كميات كبيرة من معدن الرصاص موجودة في الجبال التي تمتد جنوب شرق تازة، كما كان يكثر فيها ملح البارود، وقد احضر لي هذا الرجل حجرا ثميناً أخذه من محجر يقع غير بعيد من تازة، وأنا مقتنع بأن هذا الحجر الجميل يستحق الاستخراج والاستغلال التجاري". (اسكوت، 1981، ص. 129)

خريطة 1

خريطة طبوغرافية لمنطقة تازة



NI-31-XXI-10UEST/Theniet el Had -1/50.000

المصدر: مصلحة التاريخ بوزارة الحربية الفرنسية - فانسان-1998 1H

2. أصل التسمية:

بناء على المعطيات الطبوغرافية السابقة، فإن تازة هي ذلك الفضاء الجغرافي الواقع بين مرتفعين وهما جبل ايشاون 1804م عن مستوى سطح البحر شمالا وجبل موريوس "mourous" جنوبا بـ 1300م يحصران ربوة أو هضبة واسعة vaste colline عمرت منذ القدم وبني عليها عمران المنطقة. وبالتالي فقد نجد تفسيراً لهذه الوضعية الطبيعية لأصل التسمية البربرية لكلمة "تازة" والتي تعني الممر

بين جبلين، حيث أن هذا المعطى اللغوي التاريخي يجد سنداً طبيعياً واضحاً له في تضاريس المنطقة أي ممر تازة الفاصل بين جبلين يقتسمان جغرافية المنطقة. كما ينطبق ذلك على الدلالة اللغوية للكلمة، فقد وردت كلمة تازة في قاموس تاج العروس بصيغة تاز-تأز الجرح كمنع: التأم وفي التكملة في الصلح إذا تدانوا أي إذا دنا بعضهم من بعض وتأز القوم في الحرب أي إذا قرب بعضهم من بعضهم الآخر أي إذا تدانوا". (الزبيدي، 1994، ص. 19) ونفس المعطى أكدته التازي في معنى اسم تازة وهو الممر. (التازي 1994، ص. 19) وتوجد تازة المدينة بالمقطع الأخير لهذا الممر الإستراتيجي والذي يقع مركزه عند أسفل جبل ايشاون قرب منبع مائي غزير وعلى الطرف الجنوبي للممر نجد كحد فاصل بين جبل موروس والممر وادي على شكل نفق يخترقهما. وبالموازاة مع هذا يليه آخر شمالاً يفصل الممر، إذ يبدأ عند حدود نهاية الجبل بوادي تازة مشكلان بذلك دائرة غير مكتملة مفتوحة غرباً وشرقاً. وعند أحواز المدينة من الغرب ينتهي الممر أو النصف الأول من الدائرة عند نقطة عين أشير، وشرقاً عند نواة المدينة الفرنسية الحالية كنصف ثاني من الدائرة. ومن ذلك كان لموقع تازة أهمية عسكرية أمنية عبر تاريخها الطويل لحماية المنطقة، كما بواها مكانة هامة في الصراعات التي توالى لحسم السلطة لطرف دون آخر، ولعل أهميتها تكمن فيما جاء على لسان الرحالة فايست حين وصف أسباب اختيار الأمير لها لبناء الحصن: "وهذا الموقع الذي اختاره الأمير مسيطر تماماً على المنطقة ولا يوجد اختيار أفضل منه". (Vayessettes, 1882, p.p. 22-24) هذا من الناحية اللغوية، أما التاريخية فنحن لا ندري في أي فترة أطلق عليها هذا الاسم أمام فقدان الشواهد المادية وغياب المصادر التي اعتمدها المؤرخون المعاصرون ولا نميل لافتراضات أخرى والتسليم بها دون التحقيق فيها وإعادة النظر فيما أسست عليه من معطيات، فنحن لا نعلم إذا كانت تسمية تازة-TAZA- قد أطلقت على المنطقة منذ نشأتها أم لاعتبارات أخرى جاءت في فترة لاحقة أو عرفت عدة تسميات. وعليه فسوف نقوم بتقديم ما توفر لدينا من معلومات تاريخية بعرض تزامني على النحو الآتي:

أول نص تاريخي ورد فيه ذكر "تازة" كان من طرف فايست (1862) الذي عاين المنطقة بعد سقوط حصنها في 1841 ويقول: "في أسفل الهضبة التي بنى عليها الأمير عبد القادر حصن تازة وفي مستوى قليل الانحدار بمقربة من الوادي نشاهد آثار المدينة القديمة لتازة التي أسست في سنة 700هـ/1302م من طرف الأمير جعفر بن عبد الله وهذا بدليل ما عثر عليه في كتابة تأسيسية نقش على لوحة حجرية نقرأ عليها مؤسس المدينة وتاريخ تأسيسها المذكورين سابقاً، ونقلت هذه اللوحة إلى ثنية الحد". (Vayessettes, 1862, p. 23) في نفس الإطار تعرض باتورتي لذلك ويقول: "كان يوجد

بموقع تازة الذي بنى فيه الأمير عبد القادر قلعته مدينة عربية مندثرة تسمى تازة أو تازة Thaza-Taza (كذا) والتي أسست منذ ثلاثة قرون خلت (أي القرن 16-17م) عثر على لوحة حجرية نقش عليها باللغة العربية كلمة -تازة-Thaza وهي تتوسط شريطا كتابيا يحمل آيات من القرآن". (Patorni, 1889, p. 67) أما فيشر فأورد الآتي: "يوجد بتازة جزء من منطقة جبلية تقع في سلسلة جبال مطماطة بين ثنية الحد وبوغار يشير إليه بعض الجغرافيين بجبل تازة". (Ficheur, 1900, p. 560) غير أن تربصنا الميداني بفرنسا قد سمح لنا بمعاينة اللوحة التأسيسية التي تعود لفترة الأمير عبد القادر الموجود بوزارة الحربية وهذا جزء مما ورد فيها: "أحيا هذه البلدة طاز (كذا) وبناها أمير المؤمنين...". (بكاي، 2000، ص. 239). بعد مرور 25 سنة أطلق عليها إسم طرولار تازة نسبة إلى البروفيسور jean baptiste paulin trolard في 25 سبتمبر 1925 بعدما أنشئ فيها مركزا استيطانيا سنة 1884. (Estoublon, 1929, p.135) سميت برج الأمير عبد القادر تخليدا لمؤسسها في ماي 1963. وبدون الولوج في النقاش بين الدلالات اللغوية والأصول التاريخية فإن ما نؤكد هنا هو أن اسم تازة الأمازيغي قد ظل مستمرا حتى الفترة الإسلامية بل وإلى يومنا هذا ما يؤكد أصالة المنطقة مثلها مثل الكثير من الأسماء بتازة على سبيل المثال: تيغزيرت، آغال، تيفران، وايشاون عند القدماء الأمازيغ هو جمع كلمة "اش" وتعني القرن أو القمة وهي تسمية تتفق مع مورفولوجية الجبل. (Belkacem, 1887, p.LXXXVII)

3. تاريخ الأبحاث والاستكشافات بالمنطقة:

تعود أولى الأبحاث الإستكشافية بالمنطقة إلى بربروجير كأول باحث أثري وطئت قدماه بتازة سنة 1843 أين قام بجرد خمسة مواقع، أربعة منها خصت الناحية الشمالية-الغربية: عين تازة وعين الرباط وسكالفن ووادي مريلة وواحد في قبيلة مطماطة شرق تازة وهو آغال. (Berbrugger, 1864, p. 423) معتمدا في ذلك على معيار التوزع القبلي "قبيلة بلال الكبرى بتازة" والتي كانت تضم كل من قبيلة أولاد سيدي سليمان، السوايح وبني سومر التي كانت تابعة لأغاليك جندل ببايلك التيطري خلال العهد العثماني وانضمت تحت لواء مقاومة الأمير عبد القادر". (ANA, 1882, 1H H73) بعد مرور 18 سنة من أعمال بربروجير قام فايست في 1861 باستكشافات خصت الجهة الشمالية-الشرقية من تازة، وتحديد موقع حصن الأمير، وانفرد بالتعرض إلى معطيات أثرية ومعلومات تاريخية تخص تأسيس المدن بتازة بناء على هياكل عمرانية ومعمارية تؤكد أن حصن الأمير قد بني على أنقاض مدينة رومانية وأخرى إسلامية خلال القرن 8م. (Vayettes, 1862, p.p. 22-24)

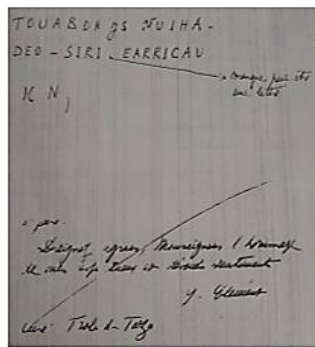
لم تنحصر الأبحاث في جانبها التاريخي والأثري بل تعدتها إلى دراسات جيولوجية من طرف فيشر سنة 1900 أين قام بأعمال تناول فيها من خلال 39 صفحة التكوينات الجيولوجية بخاصة جبل مطماطة مع خريطة جيولوجية وتسعة مقاطع لطبقاتها وصور مستحاثات Fossiles لكائنات بحرية عاشت بتازة. (Ficheur, 1900, p.p. 559-598) إلى جانب هذه المعطيات التي تمت من طرف عسكريين وإداريين ورحالة ورجال آثار وجيولوجيا، فقد كان الإهتمام بها أيضا من طرف رجال الدين يشهد على ذلك وثيقة مؤرخة في 30 أبريل 1956 قدمها لنا السيد جون بيار هنري john pierre henry بمكتبة glycines بالعاصمة (AGA, -3H) وهي من كاهن تازة يتحدث فيها عن عثور أحد الأفراد في الحدود بين لوتورنو (دراج حاليا) وتازة التي تبعد عنها بـ 18 كلم على كتابة لاتينية منقوشة في لوحة حجرية يطلب فيها الكاهن ترجمتها بعد تفريغها. واستمرت الأبحاث الإستكشافية بعد الإستقلال تحديدا سنة 1974 إثر الأعمال التي كانت تقوم بها الشركة الوطنية للأبحاث والاستغلالات المنجمية. (AAT, D 5) حيث قدم لهم أحد الأفراد المقيمين على أنقاض موقع حصن الأمير سوار مع إبرته وسيف ولقى أخرى غير محددة. وتم إرسال تقرير في شأن ذلك إلى السيد "تمام" آنذاك بصفته مدير المتحف الوطني للآثار القديمة-وهو في الواقع مدير متحف الآثار القديمة والاسلامية وليس البارود كما تؤكد الوثيقة- في شكل مراسلة بتاريخ 4.22.1974. (أرشيف قسمة حزب جبهة التحرير الوطني بتازة).

وثيقة 1

وثائق متعلقة بالبحث الأثري بمنطقة تازة



2



1

المصدر: AGA, -3H-A. B.FLN. taza

بعد ذلك قامت بعثة أثرية من الوكالة الوطنية للآثار سنة 1981 باستطلاع استكشافي وأسبار تقييمية وحفرية إنقاذ كان على رأسها الباحث خلاصي علي (خلاصي، 1981، ص 1-14) تم خلالها إجراء سبر واحد أفرز عن وجود آثار فترتين تاريخيتين متباينتين-فجر التاريخ والفترة الرومانية-. وتم على إثرها كذلك معاينة موقع حصن الأمير وقدم الكل في تقرير من أربع صفحات و14 صورة. وفي إطار

تحضيرنا لليسانس سنة 1999 قمنا باستطلاع استكشافي هناك أين سمحت التحريات التي أجريناها بالقرب من موقع حصن الأمير بالتعرف على موقعين جديدين لم يذكرهما غزال ولا الباحثين أعلاه، الأول عين أشير والثاني تيجمامت (بكاي، 2006، ص.ص. 236-240) حيث عثرنا على شواهد مادية بكلا الموقعين منها: قبر جنائزي وأجزاء من أسس بناء، عمالات، دوليا. وفي رسالة الماجستير أعلاه 2006 حول تازة قمنا بنشر وثائق وصور تم عرضها لأول مرة. (بكاي، 2006، ص.ص. 236-240) وقد كان الكل بمثابة أول عمل أكاديمي حول المنطقة بل مادة جاهزة استغلها كل طالب وباحث اشتغل بعدي حول الموقع.

4. المواقع الأثرية بمنطقة تازة:

1.4. موقع عين العنصر (Ain el-Anseur):

يقع داخل الإحداثيات 3974,5-3974 شمال-جنوب و424,5-424 شرق-غرب، يرتفع عن مستوى سطح البحر بـ 879 م ويشرف من الشمال على مساحة سهلية ومن الجنوب محاط بجبال غابية مرتفعة عبارة عن مخبي صخري abris sous roche اتخذها إنسان النيوليتيك néolithique ملجأ له، إذ يحتوي على مشاهد ورسومات ونقوش جدارية نيوليتية مثله مثل المواقع الممتدة عبر سلسلة الونشريس mons ancorarius الزاخرة بمخلفات أثرية تعود إلى ما قبل التاريخ (Bayle, 1954, p.p. 135-145) من بينها عين الصفا وبوخيران (Bekkai, 2005, p.10). غير أن الظروف الأمنية لم تسمح لنا بزيارة موقع عين العنصر كونه يقع في منطقة جبلية بعيدة ووعرة المسالك تضاف إلى الظروف الأمنية الصعبة.

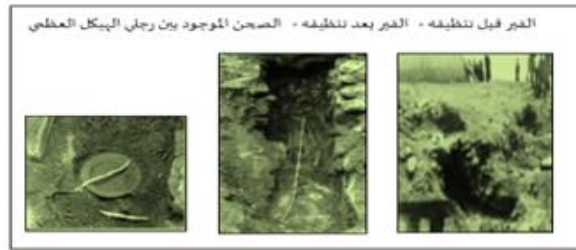
2.4. موقع راس تازة 1 (Ras-Taza 1):

محصور داخل الإحداثيات: 3964,8-3965,5 شمال-جنوب و336-435 شرق-غرب. بأسفل جبل ايشاون بالقرب من الطريق الوطني رقم 60. محاط بحي سكني شرقا ومشتلة غربا وثكنة شمالا، وجنوبا وادي موريوس. اكتشف إثر عملية استصلاح أرضية لبناء 20 مسكن ذاتي من طرف الدولة، وأول من قام بأبحاث استكشافية فيه هو الباحث خلاصي بتاريخ 1981.3.28 ويصفه كما يلي: "موقع راس تازة يعود لفجر التاريخ Protohistoire، إذ كانت مدينة تازة معروفة قبل الإسلام والرومان ويؤكد هذا وجود بعض القطع الحجرية يعتقد أنها كانت مخصصة لدفن عظام الأموات بعد حرقها وهذا على غرار ما وجد بالعديد من المدن القديمة. والقبور التي عثر عليها بتازة ليست قبورا رومانية

إنما هي مجموعة من القبور للسكان المحليين وهذه القبور تعرف باسم البازينا Bazinas. بعض القطع الحجرية المستديرة تجعلنا نشك في وجود بعض الآثار لمعبد أو شيء من هذا القبيل، وهذه الحجارة ربما تعود إلى أعمدة مستديرة" وبالقبور عثرنا على هيكل عظمي لإنسان موجه رأسه نحو الشرق، ويبلغ طول رجله 0.85م عثرنا على صحن من السيجلي عند حوض الهيكل العظمي ونظرا لوجود عدة مسامير على يمين ويسار الهيكل فيعتقد أنها كانت لتابوت من الخشب. لكن عدم وجود ولو قطعة من الخشب جعلنا نشك في هذا الاعتقاد". (خلاصي، 1981، ص. 2)

اللوحة 1

جانب من مكتشفات الباحث خلاصي وفرقته بموقع راس تازة سنة 1981



المصدر: خلاصي، 1981، ص 5-7.

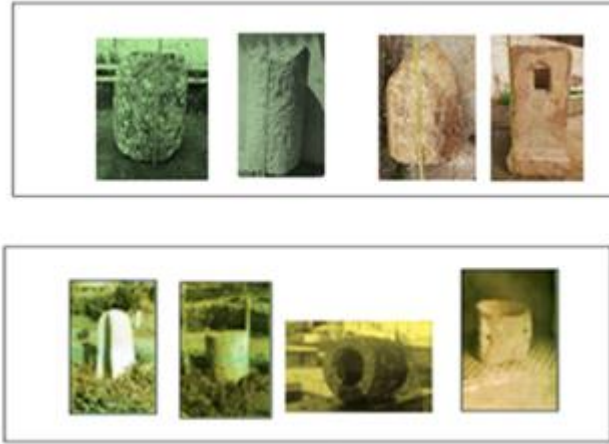
3.4. موقع راس تازة 2 (Ras-Taza):

يعتبر الاستكشاف الثاني لفرقة خلاصي في اليوم الموالي ويصفه قائلا: "عثرنا على صحن سيجلي أحمر قطره 0,29 م وارتفاعه 0,04م والذي يعود إلى ق4م والزخارف المدونة على قاعدته تدلنا على ذلك وهذا الصحن وجد بين أقدام هذا الهيكل العظمي أعلاه وحملناه إلى المديرية قصد دراسته. ... وفي يوم 29 مارس 1983 اتجهنا أيضا إلى عين المكان-راس تازة"-وفي طريقنا لاحظنا بعض قطع السجيلي تحت سلاسل الجرار الذي كان يهدم مقبرة (nécropole) فأمرناهم بالتوقف عن العمل بحضور السادة منسق القسمة ورئيس المجلس الشعبي البلدي ورئيس الدائرة وقائد الدرك الوطني. وخوفا من تهديم القبر الذي بدأ قسم من الفخار السجيلي يظهر به أتممنا عملية إنقاذ لهذا القسم. كما نشير إلى كثرة انتشار القطع الفخارية من نوع السجيلي. وقد أشار إلينا بعض السكان القاطنين بالقرب من الموقع إلى بعض اللقى الأثرية المتمثلة في جزء من عمود حجري يوحي بوجود معبد بالمنطقة، مطحنة حجرية، مهراس وشاهد آخر نعتقد بأنه علامة قياس المسافات". (خلاصي، 1981، ص. 4) من الجدير بالذكر هنا أننا قد قمنا بجرد بعض تلك اللقى التي أشار إليها خلاصي في تقرير للوكالة الوطنية للآثار حين كنا على رأسها بالولاية بين سنتي 2004-2007. ولقى أخرى في حديقة منزل قريب من الموقع،

ونظرا لثقل حجمها وعدم توفر الوسائل احتفظ بها أحد الافراد هناك بعد أن أخذنا مقاساتها، وهي محفوظة حاليا في مقر OGEBC بتازة. ومما ينبغي التنويه له هنا هو أن كل من موقعي راس تازة 1 و 2 هما من نوع المواقع التي لم تشر إليها النصوص التاريخية في حين أن شواهدا المتنوعة تؤكد عليها.

اللوحة 2

جانب من المكتشفات الأثرية التي تم العثور عليها بموقع راس تازة 2.



المصدر: خلاصي، 1981، ص.ص. 6-10. بكاي، 2005، ص.ص. 4-6.

4.4. موقع عين تازة (Ain Taza):

المواقع الأثرية الرومانية الأربعة التي اكتشفها بربروجر شرق تازة هي: عين تازة وعين الرباط وسجالفن وواد مريلة وكلها اكتشفت سنة 1843 موجودة ضمن فضاء قبيلة السوايح واولاد سيدي سليمان وبني سومر، وكلها ترتفع عن مستوى سطح البحر بـ 917م شمال شرق الطريق الوطني 14 "تيسمسيلت Viallar - خميس مليانة Afreville" شمالا سيدي سليمان وجنوبا غابة بومجبر أما شرقا ضريح سيدي احمد لكحل، وقد حددنا المواقع أعلاه بإحداثيات عامة 3976,2-3977,5 شرق غرب- 428-427 شمال جنوب من دون ضبط النقطة الأثرية لأن الباحث لم يشر إلى ذلك ولم تسمح لنا الظروف الأمنية باستكشافها في حين أن الموقع الخامس "أغبال" ضمن إقليم قبيلة مطماطة. وعن عن وصف موقع عين تازة يقول: "عين تازة يقع في قبيلة السوايح بتازة ويحتوي على آثار رومانية." (Berbrugger, 1864, p. 423)

5.4. موقع عين الرباط (Ain Rabbat):

يصفه باختصار شديد: "موقع عين الرباط يوجد في دوار السوايح بتازة به آثار رومانية".

6.4. موقع سجالفن (Sguelfen):

يورد في شأنه ما يلي: "عثرنا على آثار رومانية بسجالفن بدوار اولاد سيدي سليمان بتازة".

7.4. موقع واد مريلة (Oued Me-ri-la):

يقع وسط قبيلة بني سومر التي كانت ضمن قبيلة بلال مثلما ذكرنا، وبناء على ذلك جعلناها ضمن منطقة تازة الأثرية باعتماد المعيار القبلي. يبعد الموقع عن ثنية الأحد بـ 16 كلم وعن مليانة بـ 55 كلم على الطريق الوطني 14 "يحتوي على آثار رومانية مندثرة". (Berbrugger, 1864, p.423)

8.4. موقع أغبال (A'rbel):

وهو الموقع الخامس ضمن إحصاء بربروجر، وفي غياب إحداثيات الموقع التي لم ينشرها الباحث في مقاله فقد سمح لنا اطلاعنا على الخريطة الطبوغرافية لتازة بالتعرف على الإحداثيات العامة لموقع أغبال إذ يقع شرق سلسلة جبال ايشاون، إحداثياته 3972-3971 شمال جنوب و 439-340 شرق غرب، يرتفع عن مستوى سطح البحر بـ 1642 وعن وصفه يذكر: "عثرنا في جبل أغبال بتازة على آثار رومانية كثيرة". وهذا طبيعي كون المدينة الرومانية "تازة 1" التي ستكون حصنا للأمير عبد القادر لاحقا تقع أسفل ذلك الجبل لأجل هذا تم تحصينها بمجموعة من المراكز العسكرية المتقدمة لليمس، وما تجدر الإشارة إليه أن المواقع الخمسة أعلاه هي من نوع المواقع التي أشارت إليها النصوص في حين غابت عنها الشواهد المادية في مقال الباحث. (Berbrugger, 1864, p.423)

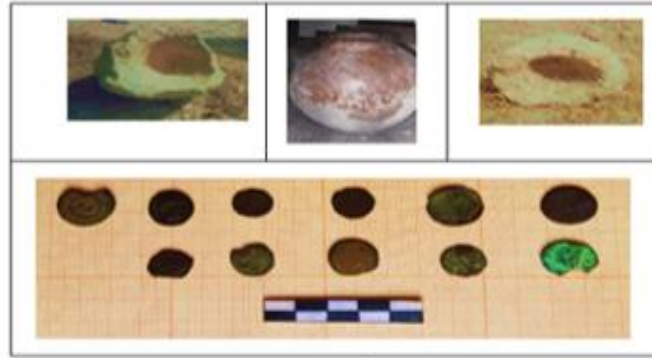
9.4. موقع تيحمامت (Tihamamet):

يقع في مساحة سهلية ويرتفع عن مستوى سطح البحر بـ 1005م، محاط شمالا بمرتفع فم الحمام 1055م ويشرف على مساحة زراعية باقي الجهات محصور بين 3969,5-3970,3 شمال جنوب و 430-430,5 شرق غرب نقطته الأثرية 3970-430. اكتشف أثناء استصلاح قطعة أرضية لغرض فلاحي ولم يذكر في الأطلس ولم نعثر بعد في الكتب والمجلات التي تناولت وأحصت المواقع الأثرية للمنطقة، لذا اعتمدنا على عملنا الميداني، إذ يحتوي على عمران مندرج يتمثل في مركز متقدم لليمس، أما عن المظاهر العمرانية والمعمارية البارزة فيبدو أنه مندرج تماما ولم يبق منه سوى بعض المعطيات التي توحى بذلك وتتمثل أساسا في دوليا وأجزاء مطاحن حجرية تم دراستها بالموقع ونقلناها بمساعدة السلطات المحلية إلى متحف تازة مع قطع فخارية مختلفة الأشكال والأحجام، منها فخار عادي

ومزخرف مختلف الألوان بين الأحمر القرميدي والبني ذو اللون الفاتح والداكن ما يعكس تعدد ورشات الصناعة الفخارية والحجرية توجي إلى وجود ورشة لصناعة الزيوت أو مركزا لتخزين السوائل. أيضا نقود برونزية قدمها لنا أحد القاطنين هناك السيد زوج عبد القادر وعددها 11 قمنا بتصويرها وجردها قبل تقديمها للمتحف البلدي. وإن كان أغلبها غير واضح نتيجة الأكسدة التي لحقت بها جراء العوامل الطبيعية فإن عددا منها قد سمح لنا بقراءة نصوصها ومنها إعطاء تأريخ للموقع (1 constantine 306-337 و 307-323 licinius). وهذا الموقع هو من نوع المواقع التي لم تشر إليها النصوص في حين أن شواهدا المادية ماثلة للعيان. (Bekkai, 2005, p.p. 2-5)

اللوحة 3

جانب من المكتشفات الأثرية التي عثرنا عليها بموقع تيجمامت.



المصدر: بكاي، 2005، ص.ص. 4-5.

10.4. موقع عين أشير 1 (Ain Achir 1):

يقع داخل إحداثيات: 3964,7-3965,6 شمال جنوب و 438-436 شرق غرب عند حافة جبل موروس ويشرف على جميع جهات المنطقة. يرتفع عن مستوى سطح البحر بـ 1110م بالقرب من الطريق الوطني 60 كما هو موضح بالسهم في الصورة أدناه عند منبع مائي غزيز، ومنذ وصولنا فقد لاحظنا تداخل الهياكل المعمارية الرومانية لموقع عين أشير 1 مع فجر التاريخ بعين أشير 2، هذا الأخير عبارة عن تيميلوس Timulus قد أكدته له أساتذتنا: دراجي ومضيق وعليش. وتعود أولى استكشافاتنا له إلى 2003 حين كنا على رأس الدائرة الأثرية. أهم ما ميز عملنا هو التعرف على التسلسل الحضاري لموقع واحد عبر مرحلتين مختلفتين. وكان علينا أن نحدد أولا فضاء الموقع كإجراء أولي من أجل معرفة مسار التحري الأثري مستقبلا إذ قمنا بمعاينة الموقع والتعرف على معطيات أولية أو ما يسمى بالاستكشاف التقييمي وتمثل ذلك في تحديد ارتفاعه المقدر بمترين وقطره يصل إلى 16م وهذا المعلم الجنائزي monument funéraire من نوع المدافن التي شاع انتشارها ببلاد المغرب القديم على شكل

قبة ذات شكل بيضوي. (Haddadou, 1994, p. 42) يظهر في هيئة تل أثري من حجارة وأتربة تغطيه تعبر عن وجود استيطان بشري بالمنطقة خلال مرحلة ظهور الشعوب المغاربية المنتظمة.

اللوحة 4

تيمسلوس مكتشف من طرف الباحث دراجي وفرقته سنة 2001.



المصدر: بكاى، 2005، ص. 6.

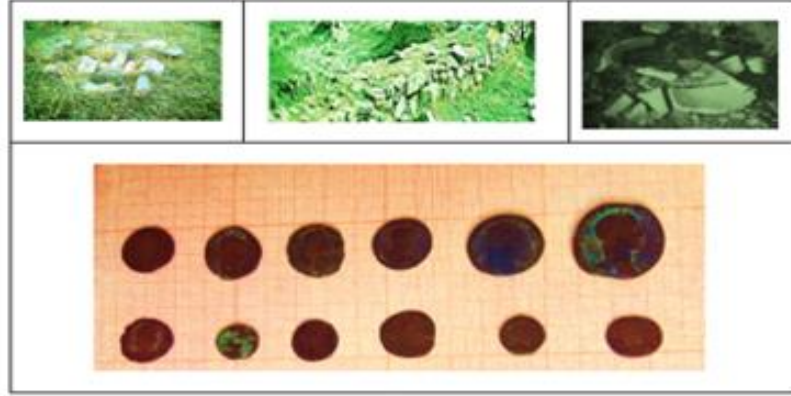
11.4. موقع عين أشير 2 (Ain Achir 2):

يقع داخل نفس إحداثيات موقع عين أشير 1، قمنا بمعاينته سنة 1999 مع موقع تيجمامت اسكتشف بالصدفة أثناء استصلاح قطعة أرضية حين شرعت الدولة ببناء مركز للدواجن هناك. من ناحية نوع الأثر فإن الموقع يحتوي على آثار عمران روماني. وحسب التحريات التي قمنا بها فإنه مشكل من معالم أثرية مندثرة تتمثل في مركز متقدم لليمس. من المظاهر العمرانية والمعمارية البارزة فيه بقايا لأسوار وآثار أسس لجدارن مكونة من الحجارة غير المنتظمة بالتناوب موجهة من الجنوب إلى الشمال طوله 2,90م وسمكه حوالي 90 سم. وأخرى موجودة جنوب الموقع موجه من الشرق إلى الغرب والكل يظهر سطوحيا. وبعد تفهم السلطة لأهمية الموضع تركت مساحة قدرها عشرة أمتار بين مشروع البناء والموقع. أما اللقى الأثرية فقد لاحظنا منذ وصولنا انتشار أنواع من الحجارة الضخمة المهذبة غير المنتظمة. ونحن نجوب هناك في اليوم الموالي لاحظنا انتشارا للقطع الفخارية المختلفة الأشكال والأحجام والألوان مثلما هو الحال بتيجمامت لكن دون استبعاد فرضية أن بعض الفخاريات مستوردة. وعثرنا على حيز شبه دائري يتراوح قطره ما بين 2-2,5م تتجمع فيه الكثير من الفخاريات المحترقة، نعتقد أنها قد كانت فرنا للصناعة الفخارية. من بين اللقى الأثرية التي تم العثور عليها نقود برونزية عددها 12 قدمت لنا من طرف السيد بوهراوة محمد، بعد أن أخذنا مقاساتها وقمنا بتصويرها قدمناها هي كذلك إلى المتحف البلدي. وقد حاولنا من خلال ما اتضح لنا من العملات وضع تأريخ للموقع حسب ما قدمته قطع مقروءة تعود للإمبراطور قسطنطين الثاني (337-361م). وموقع عين

أشير الأثري 1 و 2 هما من نوع المواقع التي لم تشر إليها النصوص التاريخية في حين أن شواهدهما المادية تؤكد عليهما وتؤرخ لهما. (Bekkai, 2005, p.p. 3-5)

اللوحة 5

جانب من المكتشفات الأثرية بموقع عين أشير 2 (2005/1999)



المصدر: بكاي، 2005، ص.ص. 4-7.

12.4. موقع تازة 1 "المدينة الرومانية":

يحتوي على ستة مواقع أثرية بنيت في فترات تاريخية مختلفة، ما يميزها تداخلها في حيز أثري واحد وهذا ما جعلنا نحددها داخل إحداثيات شملت كل المواقع وهي: "تازة 1 وتازة 2 وتازة 3 وتازة 4 وتازة 5" تفاديا للوقوع في خطأ بإعطاء كل موقع نقطة أثرية خاصة به: 3964,8-3965,5 شمال جنوب و 435-336 شرق غرب، على حافة الطريق الوطني 60 في أسفل جبل ايشاون. فبعد اطلعنا على مختلف النصوص التي تناولت المنطقة واستنادا إلى الأبحاث الإستكشافية التي قمنا بها في المنطقة بين 1999 و 2005، فإننا نؤكد أن موقع تازة هو النواة الأولى لتأسيس المدن التي تعاقبت على أرض المنطقة منذ الفترة القديمة والإسلامية والحديثة. والموقع من النوع الذي ذكرته النصوص وتثبتته الشواهد المادية. ويعتبر الوحيد الذي قدم لنا قراءة طبقية باحتوائه على تسلسل حضاري في موقع واحد كما سنبينه لاحقا. بالنسبة لموقع تازة 1 أو المدينة الرومانية كما تسميها النصوص، نذكر على سبيل المثال ما أورده ايمريت: "تازة حصن مشيد على أنقاض مدينة رومانية تقع في مقاطعة مطماطة على بعد مسيرة يوم واحد من بوغار". (Emerit, 1951, p. 285) أيضا باتورني: "حصن تازة بني على أنقاض عمران روماني وهذا الأخير كانت تظهر بعض معالمه التي ردمت بأسس منشآت قلعة الأمير عبد القادر". (Patorni, 1889, p.67) أما عن المظاهر المعمارية البارزة لموقع تازة 1 فإننا نشير هنا بأن العمل الإستكشافي الذي قمنا به سنة 1999 قد صادفنا فيه تداخل الهياكل العمرانية والمعمارية بين

ما هو عائد للمرحلة الرومانية وما هو للأمير. كما تم استغلاله من طرف بعض الأهالي في المنطقة ببناء مساكن فوضوية عمت جل الموقع تسببت في اندثار معالمه التي كانت ظاهرة للعيان وقتذاك مما صعب لنا الرؤية الأثرية. وقد استطعنا في اليوم الموالي العثور على بعض أسوار وأسس بناء رومانية متداخلة مع أسوار حصن الأمير مع إعادة استعمال الحجارة الضخمة المهيأة أو المصقولة التي تعود إلى الفترة القديمة في بناء تلك المساكن الفوضوية،

13.4. موقع تازة 2 "المدينة الإسلامية 1":

يعتبر أول موقع أثري يشهد على تأسيس العمران الإسلامي بالمنطقة، وثبت من خلاله على التطور الحضاري لتازة والاستمرار الوظيفي للموقع خلال الفترة الوسيطة وهذا ما نقله لنا إيميرت: "تازة مدينة عربية اندثرت في حوالي 385هـ/996م". (Emerit, 1951, p.291) ويعني هذا أن كانت تازة أهلة وخاضعة للحكم الرستمي (2 و 4 هـ / 8-10م) ومن الأسباب التي تجعلنا نرجح أن المنطقة كانت تابعة للرستميين هي أن الدولة الرستمية كانت قد تمكنت من بسط نفوذها على رقعة شاسعة امتدت حتى جبل نفوسة بطرابلس فكيف بمنطقة تازة التي تعد أكثر قربا من عاصمتهم بتمهرت. واستنادا إلى تأريخ إيميرت فإن تازة قد حافظت على وجودها أثناء وبعد حكم بنو رستم (296هـ/909م)، واستمر بعدهم بحوالي 87 سنة. أما عن المعطيات الأثرية فيه فالملاحظ على نص إيميرت أنه لم يحدد لنا موقع المدينة خلال الفترة الرستمية، كما أن استكشافاتنا بموقع تازة 1 (الرومانية) جعلتنا نرجح بأنها قد بنيت إما على أنقاض المدينة الرومانية أو أسفل الهضبة التي تأسس عليها عمران مدينة تازة خلال الفترة الرومانية باعتبار المدينة الإسلامية 2 التي ذكرها قد تأسست أسفل تلك الهضبة.

14.4. موقع تازة 3 "المدينة الإسلامية 2":

باستثناء ما ذكره إيميرت فإن المصادر والمراجع تغض الطرف بعد القرن 14 هـ/10م لذلك نعتبرها حاليا حلقة مفقودة في تاريخها. أما موقع تازة 3 أو المدينة الإسلامية 2 تعد استمرارا للفترة الإسلامية بالمنطقة ودليل على أهميتها، يقول فايس: "في أسفل الهضبة التي بنى عليها الأمير عبد القادر قلعة تازة وفي مستوى قليل الانحدار بمقربة من الوادي نشاهد آثار المدينة القديمة لتازة التي أسست في سنة 700هـ/1302م من طرف الأمير جعفر بن عبد الله، وهذا دليل ما عثر عليه في كتابة تأسيسية نقش على لوحة من الحجر نقرأ عليها مؤسس المدينة وتاريخ تأسيسها المذكورين سابقا. وهذه اللوحة قد نقلت إلى ثنية الحد، وبصفة عامة فالآثار الموجودة بهذا الموقع ذات أصل عربي لها

طراز مماثل لمعالم مدينة تلمسان، غير أنها في حالة مندثرة تماما". (Vayesettes, 1862, p.p. 22-24). هذا عن المظاهر العمرانية والمعمارية أما عن الشواهد الأثرية يذكر: "تقع مطحنة الحبوب التي بناها الأمير عبد القادر بن محي الدين بتازة في الجهة الغربية أسفل الهضبة التي بنيت عليها القلعة، وقد كان الماء يأتيها من الناحية الشمالية الشرقية وعلى بعد 50م من المنبع المائي... توجد بالموقع مطحنة أخرى غير التي أنشأها الأمير عبد القادر بن محي الدين، وتعود هذه الأخيرة إلى القرن الثامن الهجري (700هـ/1302م)، تقع على مسافة بعيدة من المطحنة الأولى". (Vayesettes, 1862, p.p. 22-24). وهذا النص الأخير جعلنا نحدد إحداثيات عامة لموقع تازة الأثري اتجاه الشمال دون حيز معين باعتبار أن تازة 3 قد تأسس عمرانها أسفل الهضبة الحالية مع وجود مطحنة بعيدة عن تلك المعروفة قرب الموقع الأثري. بناء على النص أعلاه قمنا بتحريات أثرية بموقع تازة 3 المدينة الإسلامية 2 المندثرة الواقعة داخل إحداثيات موقع تازة ككل، وكعمل أولي عند وصولنا إلى الموقع أردنا تحديد الفضاء العام له لكن غياب المظاهر العمرانية والمعمارية حال دون ذلك. وعموما فالموقع هذا يوجد في المستوى الأسفل الذي أسس عليه عمران المدينة الرومانية وحصن الأمير عبد القادر على تلك الهضبة حسب صاحب النص أعلاه. وتحرياتنا أكدت أنه لا يفصل بين المدينة الرومانية والإسلامية التي أسست بداية القرن الثامن الهجري/الرابع عشر ميلادي سوى مستوى ستراتيجرافي منخفض. والمساحة الأثرية التي قدمها فايسست هي الآن منطقة زراعية يتوسطها خزان مائي كبير وبالقرب منه منبع مائي (وربما هو المصدر المائي الثاني لإنشاء مطحنة المدينة تازة 3 أعلاه) ولا أثر لأسس بناء ولا أسوار واللوحة التأسيسية لا نعلم حاليا وجهتها. ما يجعلنا نبرهن أن هذا النوع من المواقع الأثرية بتازة هو من النوع الذي أكدت عليه النصوص وغابت مظاهره العمرانية وشواهد المادية على عكس موقع راس تازة 1 و2 وعين أشير 1 و2 وتيحمات.

15.4. موقع تازة 4 "المدينة الإسلامية 3":

يعد التأسيس الثالث للعمران الإسلامي بتازة، وقد وصلتنا معلومات تاريخية حوله على قلتها ووسطيتها فهي لا تقل أهمية عن سابقتها، حيث تمت أثناء زيارة قام بها باحثون ودون أن تحدد أسمائهم ولا سنة زيارتهم لها فإننا نعتبرها تغييرا عمرانيا قد حدث بالمنطقة في الفترة الإسلامية وهذا ما نلمسه في النص التالي: "كان يوجد بموقع تازة الذي بنى فيه الأمير عبد القادر قلعته مدينة عربية مندثرة تسمى تازة أو تازة "Thaza-Taza" (كذا) والتي أسست منذ ثلاثة قرون خلت (أي القرن 16-

17م)، عثر هناك على لوحة حجرية نقش عليها باللغة العربية كلمة -ثازة- Thaza وهي تتوسط شريطا كتابيا يحمل آيات من القرآن". (Patorni, 1889, p. 67)

أول ما لاحظناه خلال استكشافاتنا هو إتلاف وتخریب المخطط الأصلي للفضاء العمراني المندرج جراء عملية ردم معالمه من جهة، ومن جهة أخرى فقد أخذ هذا التوسع الفوضوي يزداد على حساب الموقع ككل، إلى جانب استغلال بعض الأساسات والأجزاء من الجدران بدمجها ضمن هياكل مبانيهم الجديدة كأرضيات أو جدران، وبالتالي تداخل العمران الأصلي بالحديث، وهذا ما أثر سلبا في تحديد قيمة وأهمية الموقع. والجدير بالذكر أنه أثناء عملية التهيئة التي قام بها هؤلاء لإنشاء مبانيهم قد عثروا على شواهد هامة. لأجل هذا فإن تعدد النصوص في وصف ثلاثة مواقع إسلامية داخل حيز أثري واحد يضاف إلى غياب الشواهد المادية لها واستغلاله بسكنات فوضوية قد حجب عنا رؤية معالم ذلك ما جعلنا نفترض بأن العمران الإسلامي قد اندثر نهائيا أو يوجد جزء منه في أسفل الهضبة التي تأسست عليها المدينة الرومانية.

16.4. موقع تازة5 "حصن الأمير عبد القادر":

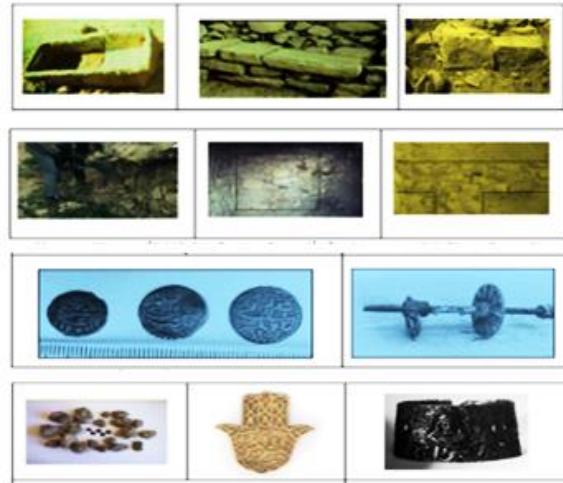
تعود أولى الاستكشافات فيه للباحث خلاصي وفرقته، تمت في اليوم الثاني من مهمتهم 29- مارس 1981:- "بتحديد بعض الجدران لأسوار قلعة الأمير عبد القادر، وقد قدم لهذه البعثة شواهد مادية تعود لعهد الأمير والتي كانت بحوزة بعض الأهالي. يقول عنها الباحث خلاصي ما يلي: "حلقة من النحاس مزخرفة بمجموعة من العناصر النباتية وعلى جانب منها رسمت صورة رجل يعتقد أنها للأمير لأن الوجه ينم عن وقار وصرامة صاحبه الذي يكون أحد الأبطال الكبار الذين يتطلعون إلى الأفق البعيد. وعلى يمين ويسار هذه الصورة وضع هلالان يتناسبان وحجم الصورة والحلقة كلها، وأسفل الصورة نجد كتابة كلمة "الجزائر" بدلا من "الجزائر". أيضا: "قدم لنا بعض الأهالي كمية من الكبريت والفحم، ومعروف أن بالمكان كان يصنع ملح البارود، ووجود كمية من الكبريت والفحم يؤكدان ذلك". (خلاصي علي، 1981، ص. 4)

وثاني الأعمال بموقع حصن الأمير قد كانت من طرفنا سنة 1999، إذ بمجرد وصولنا هناك ظهر لنا جليا التوسع الفوضوي الذي حدث على مساحة الموقع إذ أحصينا حوالي 88 مسكنا كانت تغطي كامل الموقع. وكان علينا أن نحدد أولا فضاء الموقع من أجل معرفة مسار التحري الأثري فتوصلنا إلى معطيات أولية أين تم تحديد الموقع بالإحداثيات التالية: س 434،5 وع 3968,5 ع 3969,5 أما النقطة الأثرية له فهي 435,3 شرق غرب و 3969,2 شمال غرب. كما قمنا بتحديد بعض

آثار للجدران التي كانت ضمن تصميم المباني الفوضوية وقتذاك أو تعبر شبكة هياكلها المعمارية، فلاحظنا تعقد الطباقية رغم وضوحها، واكتشفنا من خلال ذلك مجموعة من آثار هذه الجدران انطلاقا من حدود إحدى المنازل الحديثة، بالإضافة إلى ذلك فآثار هيكل الطاحونة المائية التي نقلناها إلى المتحف البلدي كانت لا تزال تراوح مكانها حتى مصدر المجمع المائي رغم تشويبه فإنه يؤكد مصدر المياه للموقع، وأخيرا تم النظر في البقايا الأثرية بمختلف أنواعها والتي هي بحوزة بعض الأهالي تمثلت في كمية من الكبريت وقطع نقدية ثلاثة تعود لفترة الأمير قدمها لنا السيد منقار عبد النور إضافة إلى راحة يد نحاسية. والكل قمنا بدراسته وحفظه بالمتحف أعلاه. (بكاي، 2000، ص.ص. 57-58)

اللوحة 6

جانب من المكتشفات الأثرية بموقع حصن الأمير عبد القادر سنة 1999.



المصدر: بكاي، 2000، ص.ص. 57-59.

خريطة 2

التوزيع الفضائي للمواقع الأثرية بمنطقة تازة برج الأمير عبد القادر.



NI-31-XXI-IOUEST/Theniet el Had - 1/50.000

الرمز	الفترة	الوصف	الرمز	الوصف	الرمز	الوصف
▲	الفترة الرومانية	حصن	▲	الفترة الإسلامية	▲	حصن
▲	الفترة الرومانية	حصن	▲	الفترة الإسلامية	▲	حصن
▲	الفترة الرومانية	حصن	▲	الفترة الإسلامية	▲	حصن
▲	الفترة الرومانية	حصن	▲	الفترة الإسلامية	▲	حصن
▲	الفترة الرومانية	حصن	▲	الفترة الإسلامية	▲	حصن
▲	الفترة الرومانية	حصن	▲	الفترة الإسلامية	▲	حصن
▲	الفترة الرومانية	حصن	▲	الفترة الإسلامية	▲	حصن
▲	الفترة الرومانية	حصن	▲	الفترة الإسلامية	▲	حصن
▲	الفترة الرومانية	حصن	▲	الفترة الإسلامية	▲	حصن
▲	الفترة الرومانية	حصن	▲	الفترة الإسلامية	▲	حصن
▲	الفترة الرومانية	حصن	▲	الفترة الإسلامية	▲	حصن
▲	الفترة الرومانية	حصن	▲	الفترة الإسلامية	▲	حصن

المصدر: بكاي، 2006، ص. 215.

خاتمة:

لقد قادت الأعمال الإستكشافية من عمليات المسح والتحري الأثري بمنطقة تازة ضمن المساحة الجغرافية التي غطتها هذه الدراسة والمقدرة بحوالي 50 كمسافة تربط بين ثنية الحد وبوغاز إلى تحديد العديد من المواقع ومعرفة بعض شواهد الدالة، حيث تم العمل على جرد 16 موقع أثري مع إحصاء أكثر من 50 شاهد مادي تدخل في إطار تجديد الأطلس الأثري الجزائري. وكان الغرض أيضا من تقديم هذه العمل إبراز منطقة تازة الأثرية كونها تحتوي على تسلسل حضاري: ما قبل التاريخ، القديم والوسيط والحديث، ومن حيث التعداد الإجمالي للمعالم فقد شملت العمران الديني والمدني والعسكري (كهوف، مدافن، مدن، مراكز عسكرية، وورشات صناعية) أما من حيث الجرد حسب النوع فقد تعددت المادة الأثرية (رسومات جدارية، بقايا عظمية، هياكل عمرانية، نقود، كتابات تأسيسية... إلخ).

يتضح أيضا من أن عملية جرد المواقع بالمنطقة أفضت إلى معرفة واقع البحث الإستكشافي بتازة وأكدت على خصوصيته من خلال جانبين: الأول تاريخي يتعلق بإشكالية الوصول إلى المعرفة العلمية وكيفية التعامل معها، ويظهر لنا ذلك في كون أن كل النصوص التي تناولت المنطقة في العهود القديمة والوسيط قد وردتنا فقط مما كتب حول مقاومة الأمير من خلال بعض التقارير العسكرية الفرنسية ما يعني أن النصوص الأصلية تبقى رهينة المصادر التي اقتبس منها كل من اميريت وفايست وباتورني. والمستوى الثاني فهو قانوني مرتبط بوجهة المنقولات: اللوحتان التأسيسيتان لموقع تازة 3 و4، الصحن السجيلي، علامة قياس المسافات، سوار مع إبرته وسيف ولقى أخرى التي لا نعرف أين هي. والأخر يخص الملكية العقارية الخاصة الموجود ضمنها الموقع الأثري، ما يستدعي ضرورة حماية المواقع وتصنيفها بهدف إعادة الموازنة بين المواقع الأثرية ومختلف القطاعات قبل الشروع في أي تخطيط عمراني بهدف تسيير تأهيل الموقع في محيطه الأصلي من جهة ثانية.

قائمة المصادر والمراجع:

1. الكولونيل اسكوت (1981)، مذكرات الكولونيل اسكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر عام 1841. ترجمه وقدم له وعلق عليه اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
2. عبد الهادي التازي (1970)، رسائل مخزنه على عهد السلطان الحسن وابنه عبد العزيز، ط1، المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط، المغرب.

3. علي خلاصي (1981)، مهمة إلى ولاية تيارت دائرة ثنية الأحد، برج الأمير عبد القادر، الوكالة الوطنية للآثار وحماية المعالم والنصب التاريخية، وزارة الثقافة، الجزائر، ص. ص. 1-16.
4. لخضر بكاي (2000)، تازة موقع أثري ومركز مقاومة خلال فترة الأمير عبد القادر، مذكرة ليسانس، معهد الآثار، جامعة الجزائر، غير منشورة، الجزائر.
5. لخضر بكاي (2006)، موقع تازة الأثري من خلال النصوص التاريخية والأبحاث الأثرية، رسالة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، غير منشورة، الجزائر.
6. محمد مرتضى الزبيدي (1994)، تاج العروس من جواهر القاموس، مج. 8، دراسة وتحقيق علي سيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
7. Archives des glycines- centre d'études diocésaine Alger- 3 H- alg.
8. Archives nationale d'Algérie, tribus de l'Algérie (département d'Alger), statistiques et renseignements statistiques des ordres religieux (situation par tribu), 1H H731882.
9. Bayle D.H (1954), station de gravures rupestres d'ain-s'fa. région de vialar, libyca, pp. 135-145.
10. Bekkai L (2005), Découvert archéologique a tihamamet, agence nationale d'archéologie et de protection des monuments et sites historique, Algeria, pp 1-14.
11. Bekkai L (2005), Nouvelles découvertes archéologiques à ain achir-boukhaurene et ain s'fa, l'agence nationale d'archéologie, pp 1-18.
12. Belkassem B S (1887), Dictionnaire de la langue kabyle, Alger.
13. Berbrugger A (1864), Miliana, revue africaine, n°08, pp. 421-433.
14. Conty H A (1901), Algérie-Tunisie, guides pratiques, Paris.
15. Emerit M (1951), l'Algérie à l'époque d'abdelkader, édition la rose, Paris.
16. Estoublon R (1929), Revue Algérienne Tunisienne et Marocaine de législation et de jurisprudence t XII, 1929, librairie de la cour de cassation, Paris.
17. Ficheur (E) (1900), le crétacé inférieur dans le massif de matmata, bulletin de la société géologique de arance, tom XXVIII, Paris, pp. 559- 598.
18. Gsell St (1997), Atlas archéologique de l'Algérie, tome 1, 2 édition, Alger.
19. Haddadou A (1994), guide de la culture berbère, Alger.
20. Patorni F (1889), l'émir el hadj abdelkader, règlements militaires, imprimerie fontana, Alger.
21. Vayessettes E (1882), de boghar à Tlemcen, revue africaine, n°06, pp.22-24.
22. Yever G (1912), correspondances du capitaine daumas consul à Mascara (1837- 1839), Paris